

الاستعاذه تعريفها نصوصها انواعها وآثارها

الدكتور / احمد بن عبد الله آل سرور الغامدي

Abstract

As we all know that loyalty is necessary in the worship/ prayer of almighty Allah and to show loyalty other than Allah is strictly prohibited in Islam, and we also know that asking for help is a part of worship/ prayer, that's why asking for help other than Allah is not allowed in Islam, and to believe only on Allah. If anyone does, so it means that he made a partner of Allah. I noticed it is very common now a days that few things lead to this conditions. This conditions fulfills when we are afraid of some other source instead of Allah and we ask for help too.

In the following article these circumstances are discussed in detail in the light of Holy Quran and Ahadees.

الاستعاذه تعريفها نصوصها انواعها وآثارها

الدكتور / احمد بن عبدالله آل سرور الغامدي

الحمد لله الواحد الأحد، الحمد لله الذي بيده مقاليد السموات والارض، والصلة والسلام على خير خلق الله، محمد بن عبد الله، الذي نصح الأمة، وكشف الله تعالى به الغمة، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ما تعاقب الليل والنهار، وما لجأ إليه الصالحون الأبرار، أما بعد:

فإن الله تعالى كرم بنى آدم على سائر ما خلق، وشرع لهم من الطيبات والصالحات ما يتقررون إليه به، وحرم عليهم رحمة بهم. كل ما يضرهم، في دنياهم وأخريهم، ومن أعظم ما يُقرب به إلى الله تعالى أخلاق العبودية له، وصدق التوكيل عليه، والخوف والخشية منه، فإن هذه العبادات وغيرها من أنواع العبادة لا تكون إلا له تبارك وتعالى ولهذا جاءت النصوص الشرعية تحذر من الشرك، وتبيّن حال المشركين وما وقعوا فيه، ليحذر المسلم، وليتجنب الوقوع فيه أو في وسائله، ومما أخبر به تعالى عن المشركين، توكلهم وخوفهم وخشيتهم ولجوءهم واستعاذه بغيره جل جلاله، قال تعالى:

وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْأَنْسِ يَعُودُونَ إِرْجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهْقًا ٥ (الجن، ٦).

وإذا تقرر وجوب أخلاق العبودية لله تعالى، فإنه لا يجوز صرف أي نوع من أنواعها لغيره سبحانه وتعالى، ومن المعلوم أن الاستعاذه نوع من أنواع العبادة، فلا يُستعاذه إلا بالله جلاله، ولا يُتوكل إلا عليه، فمن صرف شيئاً من ذلك لغيره، فقد أشرك به مالم ينزل به سلطاناً، وفي هذه الآونة وجدت بعض المظاهر الدالة على وجود مالا يجوز فعله في هذا الباب، ومن ذلك اللجوء لغيره سبحانه، وسؤاله جلب النفع، ودفع الضر، ولهذا رأيت أهمية الكتابة عن الاستعاذه، بيان معناها، وذكر نصوصها، وأحكامها، وأنواعها، وآثارها، في وقت خفى على كثير من المسلمين فضلها وأهميتها، وظهر في مجتمعاتهم ما يخالف حقيقتها، لهذا وللأسباب الآتية. وقع اختياري للكتابة عنها:

١. تحقيق القول في مسألة الاستعاذه وبما تكون.
٢. ان كثيراً من الكتب التي تحدثت عن الاستعاذه، أو الموضوعات التي كتبت عنها، تذكر أن الاستعاذه بغير الله تعالى شرك، وهو كذلك، ولكنها لم تذكر التفصيل الذي دلت عليه النصوص الشرعية، لهذا رأيت أهمية الكتابة في هذا الموضوع لبيان أنواع الاستعاذه.

٣. وجود بعض الأفعال التي تناهى التوكيل، وصدق اللجوء إلى الله تعالى، مثل: تعليق التعويذات على الأطفال، أو في البيوت والسيارات، مع الاعتقاد أنها تدفع عنهم شر الشياطين، أو شر الحسد والعين، لهذا وجوب التنبية، وبيان أن الاستعاذه إنما تكون بالله تعالى، ودفع الشر إنما يكون بصدق اللجوء إليه، والتوكيل عليه، والاستعاذه به.

٤. التنبية والاشارة إلى الطريق المشروع الذي غفل عنه كثير من الناس في هذا الباب، من أجل حماية حمى التوحيد، والبعد عن الشروك ووسائله.

٥. انتشار بعض الأفكار بين الناس عن التعاوين وآثارها، والعمل على الأخذ بها، وذلك عن طريق وسائل الاعلام، وفي بعض القصص والروايات.

٦. كثرة الدجالين في هذا العصر الذين يتخذون من الشياطين أولياء، وقد يعينونهم على بعض الأمور في فعلونها، أو يخبرونهم بعض الأمور الغائبة ليكشفون بها، وهم بهذا يظنون ثقة الناس فيهم، واتباعهم لهم. وقد يظن الجهلة أن هذه كرامات لهم، أو قوى يملكونها على غير ما اعتاده البشر.

والمقصود أن موضوع الاستعاذه من موضوعات العقيدة التي تحتاج إلى دراسة؛ لأهميتها، وحاجة الناس إليها، ووقوع المخالفه فيها، ولهذا كانت هذه الاشارات المختصرة، التي بنيت على النصوص الشرعية ودلائلها، والله أعلم بالآخلاق في القول والعمل.

المبحث الأول: تعريف الاستعاذه:

الاستعاذه في اللغة والاصطلاح: لغة: يقول ابن فارس (١) (عوذ: العين، والواو. والذال أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الالتجاء إلى الشيء، ثم يحمل عليه كل شيء لصق بشيء أو لازمه). (٢) عوذ: (يقال: عاذ فلان بربه يعوذ عوذًا، إذا لجأ إليه واعتصم به..... عاذ وتعوذ واستعاذه بمعنى واحد..... والله جل وعز معاذ من عاذ به، وملجأ من لجأ إليه، والملاذ مثل المعاذ). وقال عوذت فلاناً بالله وأسمائه، وبالمعوذتين من القرآن اذا قلت: أعيذك بكلمات الله وأسمائه من كل شر، وكل داء وحاسدو عين). (٣) و (استعذت بالله و (عذت) به (معاذًا) و (عياذًا) اعتصمت و (تعوذت) به، و (عوذت) الصغير بالله). (٤).

ومن ذلك أن رسول الله ﷺ تزوج امرأة من العرب فلما أدخلت عليه قالت: أعوذ بالله منك فقال لها: قد عذت بمعاذ). (٥)

قال 'النwoي' (٢): بمعاذ بملجاً و مُستجار. (٧)

ويقول 'ابن منظور' (٨): عوذ (عاذ به يَعُوذُ عَوْذًا وَعِيَادًا وَمَعَاذًا: لاذبه ولجاً اليه واعتصم، و معاذ

الله أَيْ عِيَادًا بِالله، قال الله عزوجل:

قالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ تَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعِنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا لَظَالِمُونَ (سورة يوسف: ٢٩).

أَيْ نَعُوذُ بِاللهِ مَعَاذًا أَنْ تَأْخُذَ غَيْرَ الْجَانِي بِجَنَاحِيهِ..... فِي الْحَدِيثِ: 'إِنَّمَا قَالَهَا نَعُوذُ أَدَأْ' (٩) (١٠).

والمقصود إنما أقرَ بالشهادة لاجنأ إليها، ومتخصصاً بها ليدفع عنه القتل، وليس بمحلص وصادق في اسلامه (١١). والعُوذُهُ وَالْمَعَاذُهُ وَالْتَّعُودُهُ: الرُّقْيَهُ يُرْقَى بِهَا الْإِنْسَانُ مِنْ فَرْعَأَوْ جَنَنَ؛ لَأَنَّهُ يَعَذِّبُهَا. قَدْعَوْذَهُ.

يقال: عَوْذُتْ فَلَانًا بِاللهِ وَأَسْمَائِهِ وَبِالْمَعِوذَتَيْنِ إِذَا قَلَتْ أَعِيذُكَ بِاللهِ وَأَسْمَائِهِ مِنْ كُلِّ ذِي شَرِّ.

وأما التعاوين التي تكتب وتعلق على الإنسان من العين فقد نهي عن تعليقها، وهي تسمى المعاذات أيضاً، يَعُوذُ بِهَا مِنْ عَلْقَتْ عَلَيْهِ مِنْ الْعَيْنِ وَالْفَرْعَأِ وَالْجَنَنَ، وَهِيَ الْعُوذُ وَاحِدَتْهَا عَوْذَهُ (١٢).

والعرب تقول لكل أنشى إذا وضعت: عائذ. وتكون كذا سبعة أيام، والجمع عُوذ، وإنما سميت

كذلك، لملازمة ولدها لها، أو ملازمتها آياته. (١٣)

ويظهر من هذه الأقوال المذكورة في كتب اللغة أن الاستعادة تعني الالتجاء والاعتصام، وأن الالتجاء إلى الآخرين يطلق عليه استعاذه، وهذا فيه دلالة على أنه يسوغ عندهم أن تكون الاستعادة بالمحلوق في جانبها اللغوي، ويقصد بالمعاذ: الملجا الذي يلوذ به الإنسان، وفي الناج: (والعُوذُ بالتحريك: الملجا،..... يقال فلان عِوذُ لَكَ: أي ملجاً) (١٤).

أما تعريف الاستعادة في الاصطلاح فقد غرفت بأكثر من تعريف، غير أنها ذات مدلول واحد في الغالب، ومدارها على أن الاستعادة هي: الالتجاء إلى الله تعالى، والاعتصام به، والهروب إليه، مما يخشاه الإنسان.

ومن التعريفات الواردة فيها، ما ذكره الإمام 'ابن القيم' (١٥) أن (حقيقة معناها: الهروب من شيء

تخافة إلى من يعصمك منه، ولهذا يسمى المستعاذه به:

معاذًا، كما يسمى ملجاً ووزرًا (١٦). وبقريب من هذا عرفها بعض العلماء المتأخرين. (٧)

ويعرفها الإمام 'ابن كثير' (١٧) بقوله: (الالتجاء إلى الله تعالى والالتصاق بجناهه من شر كل ذي

شر، والعيادة تكون لدفع الشر، واللياذ يكون لطلب جلب الخير) (١٩). وبقريب من هذا عرفها بعض

العلماء المتأخرين. (٢٠)

ومعنى 'أعوذ' التجيئ واعتتصم وأتحرر، وفي أصله قوله، أحدهما: أنه مأخوذ من الستر. والثاني: أنه مأخوذ من لزوم المجاورة (٢١) يقول ابن قيم: (والقولان حق، والاستعاذه تنتظمهما معاً، فان المستعيد مستتر بمعاذه متمسك به معتصم به، قد استمسك قلبه به ولزمه، كما يلزم الولد أباه اذا شهـر عدوه سيفاً وقصده به، فهرب منه فعرض له أبوه في طريق هربه، فانه يلقي نفسه عليه ويستمسك به اعظم استمساك، فكذلك العائد).

قد هرب من عدوه الذي يعي هلاكه الى ربه ومالكه، وفر اليه والقى نفسه بين يديه، واعتتصم به واستجـار به والتـجاـ اليـه). (٢٢).

فهي: الالتجـاء والاعتصـام والاستجـارة، فمعنى 'أعوذ بالله': أي التـجيـ الى رحـمة وعـصـمـته. (٢١)

المبحث الثاني: بعض نصوص الاستعاذه.

وردت الآيات الكريمة والأحاديث النبوية بذكر الاستعاذه، ومن هذه النصوص تبيـن الصيـغـ التي وردت بها، وبـمـ تكون الاستـعاـذه، وـمـماـ تكونـ، وـلـيـسـ منـ مـقـصـودـ هـذـهـ الـدـرـاسـةـ استـقـصـاءـ نـصـوصـهاـ. خـاصـةـ منـ السـنـةـ النـبـوـيـةـ الشـرـيفـةـ. بلـ ضـرـبـ الـأـمـثـلـةـ، لـتـبـنـيـ مـبـاـحـثـ هـذـهـ الـدـرـاسـةـ عـلـيـهـاـ.

أولاً: من القرآن العظيم:

- قال تعالى: **فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** (سورة الحـلـ ٩٨)
- وقال تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِالْغَيْرِيْهِ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** (سورة غافـرـ ٥٦)
- وقال جـلـ وـعـلـاـ: **وَإِمـاـ يـنـزـغـنـكـ مـنـ الشـيـطـانـ نـزـغـ فـاسـتـعـدـ بـالـلـهـ إـنـهـ هـوـ السـمـيـعـ الـعـلـيـمـ**
(سورة فصلـتـ ٣٦)
- وقال تعالى: **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذَبَّحُوا بَقَرَةً طَقَّلُوا أَتَتَّخِدُنَا هُزُوا طَقَّالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ** (سورة البقرـةـ ٦٧)
- وقال جـلـ وـعـلـاـ: **قـالـ رـبـ إـنـيـ أـعـوذـ بـكـ أـنـ أـسـأـلـكـ مـاـ لـيـسـ لـيـ بـهـ عـلـمـ وـإـلـاـ تـغـفـرـ لـيـ وـتـرـحـمـيـ أـكـنـ مـنـ الـخـاسـرـيـنـ** (سورة هـودـ ٧)
- وقال تعالى: **قـالـتـ إـنـيـ أـعـوذـ بـالـرـحـمـنـ مـنـكـ إـنـ كـنـتـ تـقـيـاـ** (سورة مـرـيـمـ ١٨)
- وقال تعالى: **وـقـلـ رـبـ أـعـوذـ بـكـ مـنـ هـمـزـاتـ الشـيـاطـيـنـ** (سورة المؤمنـونـ ٩)

- وقال تبارك وتعالى: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (سورة الفلق ١)
- وقال سبحانه وتعالى: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (سورة الناس ١)
- وقال جل وعلا: وَرَأَوْدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ طَقَّالَ مَعَادَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثَواً إِنَّهُ لَا يَقْلِبُ الظَّالِمُونَ (سورة يوسف ٢٣)
- وقال جل جلاله: قَالَ مَعَادَ اللَّهِ أَنْ تَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا لَظَالِمُونَ (سورة يوسف ٢٧)

و اذا تأملنا الآيات الكريمة فانها جاءت بلفظ: استعاذه، وأعوذ، ومعاذ. وأما المستعاذه، فالله تعالى، أو بصفاته وأسمائه الحسني.

ثانياً: من السنة النبوية:

مما لا ريب فيه أن رسول الله ﷺ بين لأمته كل خير، وحذرها من كل شر، وتركها على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها الاهاlek، وقد قام ﷺ بما أمره به ربه جل وعلا خير قيام، فحمدى حمى التوحيد، وحذر أمته من الشرك ووسائله، لكي يسلم لهم توحيدهم، ويستقيم لهم أم دينهم، حتى لا تحبط أعمالهم، فيخسرون دنياهم وأخراهم، ودلهم على طرق مقاومة الشيطان ووسوسته، ومن ذلك صدق التوكيل على ربهم، والرغبة اليه، والرهبة والخوف منه، والاستعاذه والاستعاذه به، لتحصيل المطلوب، ودفع المكروه، وحث ﷺ على الاستعاذه، وبين المواطن التي تقال فيها أو عندها، كمابين لنا الأمور التي يستعاذه بالله تعالى منها، سواء من أمور الدنيا أم من أمور الآخرة، وينظر ذلك في الاستعاذهات التي علم رسول ﷺ أمته قولها في كل أحيانهم، حال استيقاظهم وعند منامهم، وعند أكلهم وشربهم، وحين قضاء حوائجهم، وفي حال اقامتهم وضعبتهم، كما دلنا ﷺ كثير من الدعاء المتضمن للاستعاذه بطريق الاجمال من كل سوء، سواء حال حياتنا، أم الاستعاذه مما هو بعد مماتنا، ولهذا فان حصر ما جاء في السنة المطهرة، حول هذه المسألة، في مثل هذه الابحاث المختصرة، يكاد يكون متعدرا، حتى لا تخرج الدراسة عن مقصودها، والا فكتب السنة مليئة بذلك.

والمقصود أن الاستعاذهات التي علمنا ايها رسول ﷺ كانت جامعة لدفع الشرور كلها سواء في دار الدنيا أم دار الآخرة، وهذا أصل في نوعية الاستعاذهات النبوية، وهذه الأمثلة التي سأ ذكرها توضح ذلك وتدل عليه، ومنها:

أولاً: الاستعاذه بالله تعالى من الفتن بعموم.

ومن ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، وفيه أن رسول الله ﷺ قال لهم: “تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن.....” (٢٣)

وهذه الاستعاذه تدل على ما جهر به، وما أسره وقيل: ما يجري على ظاهر الانسان وما يكون في القلب من الشرك، والرياء، والحسد وغير ذلك من مذمومات الخواطر. (٢٤)

ثانياً: الاستعاذه بالله تعالى من الشرك.

ومن ذلك ما روتته عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ وهو يعلمها جمل الدعاء وجوامعه وفيه: ‘أعوذ بك من الشرك عاجله وآجله، ما علمت منه وما لم أعلم.....’ (٢٥)

ثالثاً: الاستعاذه بالله من صنوف العذاب وفنن الدنيا والآخرة.

ومما جاء في ذلك، من حديث أنس رضي الله عنه: ‘أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات’ (٢٦).

ومن حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: قال: كان النبي ﷺ يعلمنا هؤلاء الكلمات، كما تعلم الكتابة، وفيه: ‘أعوذ بك من فتنة الدنيا’. (٢٧)

ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ‘تعوذوا بالله من عذاب الله، تعوذوا بالله من عذاب القبر، تعوذوا بالله من فتنة المسيح الدجال، تعوذوا بالله من فتنة المحيا والممات’. (٢٨)

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يدعو بهؤلاء الدعوات ‘اللهم فاني أعوذ بك من فتنة النار وعذاب القبر وفتنة القبر وعذاب القبر، ومن شر فتنة الغنى ومن شر فتنة الفقر، وأعوذ بك من شر فتنة المسيح الدجال، اللهم اغسل خطاياي بماء الثلج والبرد، ونق قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وباعد بيني وبين خطاياي، كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم فاني أعوذ بك من الكسل، والهرم، المأثم والمغرم’. (٣٠)

يقول النووي: (وأما الكسل فهو عدم انبعاث النفس للخير وقلة الرغبة مع امكانه، وأما العجز فعدم القدرة عليه، وقيل هو ترك ما يجب فعله والتسويف به، وكلاهما تستحب الاعاذه منه..... وأما استعاذه صلى الله عليه وسلم من الهرم فالمراد به الاستعاذه.

من الرد الى ارذل العمر وسبب ذلك ما فيه من الخرف واختلال العقل والحواس والضبط والفهم، وتشويه بعض المنظر، والعجز عن كثير من الطاعات، والتساهل في بعضها، وأما استعاذه صلی الله عليه وسلم من المغرم وهو الدين، فقد فسره صلی الله عليه وسلم في الأحاديث السابقة في كتاب الصلاة أن الرجل اذا غرم حدث فكذب ووعد فاخلفه^(٣١)؛ وأنه قد يمطر المدين صاحب الدين؛ وأنه قد يشغله قلبه وربما مات قبل وفائه، فبقيت ذمته مرتهنة به، وأما استعاذه صلی الله عليه وسلم من الجبن والبخل، فلما فيهما من التقصير عن أداء الواجبات والقيام بحقوق الله تعالى، وازالة المنكر والاغلاظ على العصاة؛ وأنه بشجاعة النفس وقوتها المعتدلة تسم العادات، ويقوم بنصر المظلوم والجهاد، وبالسلامة من البخل يقوم بحقوق المال وينبعث للاتفاق والجود وللمكارم الأخلاق، ويتمتع من الطمع فيما ليس له، قال العلماء واستعاذه صلی الله عليه وسلم من هذه الأشياء، لتكميل صفاته في كل أحواله، شرعه أيضاً تعليماً، وفي هذه الأحاديث دليل لاستجاب الدعاء والاستعاذه من كل الأشياء المذكورة وما في معناها وفي هذه الأحاديث ذكر المأثم وهو الاثم، وفيها فتنة المحييا والممات أي فتنة الحياة والموت^(٣٢).

ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلی الله عليه وسلم يدعوا: «اللهم اني أعوذك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحييا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال»^(٣٣).

وهذان العذابان أعظم المؤلمات، وفتنة المحييا والممات، وفتنة المسيح الدجال، سببان العذاب المؤلم، وعادت الاستعاذه هنا الى الألم والعذاب وأسبابهما، وهذا من آكد أدعية الصلاة^(٣٤).

رابعاً: الاستعاذه بالله تعالى من شر الشيطان وشر النفس.

ومن ذلك أن النبي صلی الله عليه وسلم كان يجمع في استعاذه الاستعاذه من شر الشيطان وشر النفس، فذكر مصدري الشر وهما الشيطان والنفس، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: يارسول الله مُرني بكلمات أقولهن اذا أصبحت اذا أمسيت، قال: «قل: اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء وملكيه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذك من شر نفسي، وشر الشيطان وشر كه، وأن اقترف على نفسي سوءاً أو أجرة الى مسلم»^(٣٥).

يقول ابن القيم: (فذكر مصدري الشر وهما النفس والشيطان، وذكر مورديه ونهايته، وهما: عوده على النفس أو على أخيه المسلم، فجمع الحديث مصادر الشر وموارده في أوجز لفظ وأقصره وأجمعه وأبینه)^(٣٦).

خامساً: الاستعاذه بالله تعالى من شر الشيطان وشر الانس.

ان الله تعالى جعل الاستعاذه به وباسمائه وصفاته، من اعظم ما يرد كيد الشيطان وشره، بل وشر الانس وحسده، ولو تدبر الانسان سورتي الفلق والناس، لأدرك كثرة الشرور المستعاذه بالله تعالى منها. يقول ابن القيم: (وقد دخل في قوله تعالى: (من شر ما خلق) الاستعاذه من كل شر في أي مخلوق قام به الشر من حيوان أو غيره، انسيا كان أو جنباً، أو هامة أو دابة، أو ريحأ أو صاعقة، أو أي نوع كان من أنواع الباء). (٣٧) كذلك الاستعاذه برب الفلق، والفلق هو الصحيح، ومن شر الغاسق اذا وقب وهو الليل اذا أقبل بظلمته، وقيل القمر، كما في حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر الى القمر فقال: 'يا عائشة استعيذ بالله من شر هذا، فإن هذا هو الغاسق اذا وقب'. (٣٩).

ولا تعارض بين القولين، فان القمر هو آية الليل، يقول 'ابن القيم': ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عن القمر بأنه غاسق اذا وقب، وهذا خبر صدق، وهو أصدق الخبر، ولم ينف عن الليل اسم الغاسق اذا وقب، وتخصيص النبي صلى الله عليه وسلم له بالذكر لا ينفي شمول الاسم لغيره). (٤٠). ومنها: الاستعاذه بالله تعالى من شر النفاثات في العقد، وهن السواحر الالاتي يعقدن الخيوط، وينفسن على كل عقدة، حتى يعقدن ما يردن من السحر. (٤١). ومنها: شر الحاسد اذا حسد، وسواء كان هذا الحاسد من الانس أم من الجن.

وهذه السورة تضمنت الاستعاذه من كل شر في العالم، يقول ابن القيم: اشتتملت هذه السورة (على الاستعاذه من كل شر في العالم، وتضمنت شروراً أربعة يُستعاذه منها: شرًّا عاماً وهو شر ما خلق، وشرًّا الغاسق اذا وقب، فهذان نوعان ٠ ثم ذكر شر الساحر، وقلما يأتي السحر بدون نوع عبادة للشيطان، وتقرب اليه..... والنوع الثاني: من يعينه الشيطان وان لم يستعن به، وهو الحاسد؛ لأنه نائبٌ وخليفةٌ؛ لأن كلهمما عدو نعم الله تعالى، ومن غصها على عباده). (٤٢)

واما سورة الناس: فتضمنت أيضاً الاستعاذه بالرب والملك والاله، تبارك وتعالى، وكانت الاستعاذه فيها من الشر، و اذا كانت سورة الفلق جاءت بذكر الشر الخارجي من الساحر والحسد، الاستعاذه من كل الشرور، وهذا من رحمة الله تعالى بعباده.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعود الحسن والحسين ويقول: 'ان اباكم كان يعوذ بها اسماعيل واسحاق: أعود بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة'. (٤٥)

سادساً: الاستعاذه بالله تعالى من شر مايعلم الانسان.

ومن ذلك ماروته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في دعائه: «اللهم اني أعوذ بك من شر ما عملت و من شر ما لم أعمل» (٣٦).

ومن ذلك: ما رواه بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قال: اللهم أنت ربى لا اله الا أنت، خلقتني و أنا عبدك و أنا على عهدي و وعديك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتي على و أبوء بذنبي، فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا أنت، فمات من يومه أو ليلته دخل الجنة» (٣٧).

سابعاً: الاستعاذه بالله تعالى من سائر الأدواء والآلام والعاهات وسيء الأقسام.

ومن ذلك: عن عمرو بن أبي عمرو، أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي طلحة: «الخمس لنا غالما من غلماكم يخدمني»، فخرج بي أبو طلحة يرددني وراءه، فكنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما نزل، فكنت أسمعه يكثراً أن يقول: «اللهم اني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل، والجبن، وصلع الدين، وغلبة الرجال» (٣٨).

يقول «ابن القيم» بعد أن ذكر الحديث: (فاستعاذه من ثمانية أشياء كل اثنين منها قرينان، قال الهم والحزن قرينان، وهما من آلام الروح و معذباتها، والفرق بينهما أن الهم توقع الشر في المستقبل، والحزن التالم على حصول المكروه في الماضي أو فوات المحبوب، وكلاهما تالم وعذاب يردد على الروح، فان تعلق بالماضي سمي حزنا، وان تعلق بالمستقبل سمي هماً).

والعجز والكسل قرينان، وهما من أسباب الألم؛ لأنهما يستلزمان فوات المحبوب، فالعجز عدم القدرة، والكسل عدم ارادته، فتتألم الروح لفواته بحسب تعلقها به، والتداذها بادراكه لو حصل والجبن والبخل قرينان؛ لأنهما عدم النفع بالمال والبدن، وهما من أسباب الألم؛ لأن الجبان تفوته محبوبات ومفرحات وملذوذات عظيمة لاتنال الا بالبذل والشجاعة، فالبخل يحول بينه وبينهما أيضا، فهذا الخلقان من أعظم أسباب الألم.

وضلائع الدين وقهـر الرجال قرينان، وهما مؤلمان للنفس معذبان لها، أحدهما قهر بحق وهو ضلـع الدين..... والثاني قهر بباطل وهو غلبة الرجال، وأيضا فضلـع الدين قهر بسبـب من العبد في الغالـب، وغلبة الرجال قهر بغير اختياره) (٣٩).

ومن ذلك: ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم اني أعوذ بك

الاستعاذه

من البرص، والجنون، والجذام، ونبيء الأسماء^(٥٠). يقول الخطابي: (يشبه أن يكون استعاذه (صلى الله عليه وسلم) من هذه الأسماء؛ لأنها عاهات تفسد الخلقة، وتبقى الشئون، وبعضها يؤثر في العقل، وليس كسائر الأمراض التي إنما هي أعراض لاتدوم، كالحمى والصداع، وسائر الأمراض التي لا تجري مجرى العاهات، وإنما هي كفارات ولن ينفع عقوبات).^(٥٢)

ومن ذلك مارواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: كان من دعاء النبي ﷺ: اللهم اني أعوذ بك من الجوع، فانه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة، فانها بئست البطانة).^(٥٣)
ومن ذلك مارواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقول: 'اللهم اني أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة، وأعوذ بك أن أظلم أو أظلم'.^(٥٤)

ثامناً: الاستعاذه بالله تعالى حال التقل والنزول بالمكان.

ومن ذلك مارواه عبد الله بن سرجس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان اذا سافر قال: 'اللهم اني أعوذ بك من وعاء السفر.....'.^(٥٥)

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، عن خولة بنت حكيم السلمية، رضي الله عنها، أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: 'اذا نزل أحدكم منزلة فليقل أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، فانه لا يضره شيء حتى يرتحل منه'.^(٥٦)

وهذا فيه رد على ما كان يفعله أهل الجاهلية، وبيان لهذه الأمة فيما يجب عليها، ويسوغ لها فعله
ومن ذلك مارواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: 'كان النبي ﷺ اذا دخل الحلة قال: 'اللهم اني أعوذ بك من الخجث والخجاث'.^(٥٧) والمقصود أن الاستعاذهات التي علمناها رسول الله ﷺ، كانت جامعة لدفع الشرور والآلام، بل دفع أسبابها، والطرق الموصلة اليها، ومن قبل ذلك فهي دعاء لغسل المطلوب، ودفع المكروه، ولهذا فان الاستعاذه نوع من أنواع العبادة.

المبحث الثالث: الاستعاذه نوع من أنواع العبادة.

شرع الله تبارك وتعالى أنواع العبادة لعباده ليتقررون بها اليه، وينالون بذلك سعادة الدارين، وهذه العبادات لها آثار وثمرات، يدركها العاقل ناهيك عن العابد، ومن أنواع العبادة التي أمر الله تعالى بها عباده الاستعاذه، وبيان ذلك في النقاط الآتية باختصار:
١. أن الله تعالى أمر العباد أن يستعيذوا به لا بغيره، عند خوفهم وفزعهم، ونزع الشيطان لهم، فقال

سبحانه وتعالى: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (الأعراف ٢٠٠). وقال جل وعلا: فَإِذَا قَرَأْتُ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. (سورة النحل ٩٨).

٢. ومما يُستدل به على هذا. وهو أن الاستعاذه عبادة. كل ما صنع عنه صلى الله عليه وسلم في هذا الباب، من صنوف الاستعاذهات المختلفة، سواء في الأمور الدنيوية، أم الأخروية، وقد ضربت الأمثلة على تلك الاستعاذهات في المبحث السابق.

٣. وما يدل على ذلك أيضا، أن الله تبارك وتعالى ذكر من شرك الجاهلية ما كانوا يفعلونه من الاستعاذه بالجن، وطلبهم العون منهم، وما زادهم ذلك الا خوفاً ورهقا، واثما؛ لأنهم أشركوا في دعائهم ولجوئهم الى غير الله تعالى، قال عز من قائل: وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَرَأَوْهُمْ رَهْقًا (الجن: ٢)

ومما جاء في تفسير هذه الآية وسبب نزولها، أن العرب في جاهليتها كانوا اذا نزلوا منزلة، أو وادياً، أو مكاناً موحشاً، من البراري وغيرها، يعودون بعظيم ذلك المكان من الجن أن يصييهم بشيء يسؤولهم، كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمame وخاراته، فلما رأت الجن أن الانس يعودون بهم من خوفهم زادوهم رهقاً، أي خوفاً وارهاباً وذعراً، حتى يقروا أشد منهم مخافة، وأكثر تعوداً بهم، ومعنى رهقاً قيل: اثما و قيل: خوفاً، وقيل: طفياناً (٥٨).

وهذا الذي يقع بين الجن والانس هو من باب استمتاع بعضهم ببعض، كما قال تعالى:

وَيَوْمَ يُحْشِرُهُمْ حَمِيعًا يَا مَعْشِرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أُولَئِكُمْ هُمُ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعْ بَعْضُنَا بَعْضًا وَبَلَغْنَا أَجْلَنَا الَّذِي أَجْلَى لَنَا قَالَ النَّارُ مَثُواً كُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (الأنعام: ١٢٨).

فاستمتاع الانسي بالجني: في قضاء حوائجه، وامثال أو امره، واخباره بشيء من المغایط، ونحو ذلك، واستمتاع الجن بالانس: تعظيمه اياته، واستعانته به، واستفائه، وحضوره له (٥٩) ويوضحه.

٤. أن الاستعاذه في أصلها دعاء ومسألة، فالمستعيذ يلتجي ويتعصّم بالله تعالى، ويسأله أن يصرف عنه المكروه، وعلى هذا فهي عبادة يُتقرّب بها الى الله تعالى. يقول عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (٢٠): وهي من العبادات التي أمر الله تعالى عباده بها، كما قال تعالى: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (الأعراف: ٢٠٠)

وأمثال ذلك في القرآن كثير، كقوله: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (الفلق: ١). قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (الناس: ١) (٢١)

الاستعاذه

ويقول حمد الحمد: (والاستعاذه نوع من أنواع الدعاء؛ لأن المستعيذ بالله كالذي يقول: اللهم أعني، وعلى ذلك فالاستعاذه بالله عبادة.....) (٢٢).

٥. اذا تقرر أن الاستعاذه في أصلها دعاء وطلب، لدفع ضر، وجلب نفع، فأن صرفها لغيره الله تعالى، فيه دعاء ولجوء لغيره، ومن دعاء غير الله تعالى، واستعاذه بغيره، يكون مشركاً. يقول ابن القيم: (من ذبح للشيطان ودعاه، واستعاذه وتقرب اليه بما يجب فقد عبَدَهُ، وان لم يُسم ذلك عبادة، بل يسميه استخداماً، وصدق هو استخدام من الشيطان له، فيصير من خدم الشيطان وعابديه.....) (٢٣)

ويقول الشيخ سليمان بن عبد الله (٢٤): (ومن لاذ واستجار واعتصم بغير الله فقد خاب وخسر، وأشرك في قوله واعتقاده، قال سبحانه وتعالى: إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحِبُّ وَيُمِيَّثُ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (التوبه : ١١٦))
وقال تعالى:

فُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَا سَتَكْفُرُ مِنْ الْحَيْرِ وَمَا مَسَنَّى السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِّيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (الأعراف: ١٨٨).

وقال تعالى:

فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَُّنَّهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (التحل : ١٠٠.٩٨)

فيبيَن سُبحانه وتعالى في هذه الآيات، بل بالقرآن كله أن ليس دونه لخلقه ولِي ولا نصير، وأنه الخالق للسبب والسبب، أن النزع من الشيطان والاستعاذه منه لا تكون الا بالله السميع العليم.....) (٢٥).
ويقول: (الاستعاذه بغير الله اعراض عن توحيده ونفي لنفرده تعالى بملك الضر والنفع والعطاء والمنع والاستغاثة والقرب والمستعيذ بغيره متخذ ولِي ونصير امن دونه... فمن استعاذه بغير الله على هذا الوجه فهو بمن استعاذه به مشركاً في قوله وعقيدته اذ تعلق قلبه في المستعاذه من المخلوقين برجائه والملاذبه، والالتجاء اليه، والتوكُل عليه، هو العامل والمقتضي له على الاستعاذه به، وذلك هو الشرك الاعقادي.....) (٢٦)

ويقول عبد الرحمن بن حسن آل شيخ: (وهي من العبادات التي أمر الله تعالى عباده بها... فما كان عبادة لله فصرفه لغير الله شرك، فمن صرف شيئاً من هذه العبادات لغير الله فقد جعله لله شريك في عبادته، ونزع الرب في الهيبة.....) (٢٧).

ومما يدل على أن الاستعاذه بالمخلوق شرك اعتقادى (جعل المستعى نصيامن ماله ما كولا كان أو غيره لمن استعاذه من الجن لائذا وعائذا يرفع عنه أو غيره ما حل به من المسا و اللهم، أو يدفع ما يحذره من سائر الألم قائلاً أعود وألوذ بفلان وفلان ومن ساد، انس وجان، من شر كذاو كذا، ثم ينحر النحيرة لسكن الأرض من الجيران ليرفعوا عنه أو يدفعوا عنه ما حل به و كان، ويدرس ما نحره لهم في التراب ليكون لهم خالصاً لهم سائغاً، وبعدهم يقول أعود بأبي الجن وشهاب الشيطان من العين الشياطين، ولفظ الاستعاذه بالمخلوق شرك قولي ناشئ عن الاعتقادي). (٢٨)

والمقصود أن الاستعاذه بغير الله تعالى شرك؛ أن المستعى يعتقد قوته ومقدرة من استعاذه لتحصيل طلبه، أو دفع ما يعتقد ضرره.

المبحث الرابع: المستعاذه به.

بعد أن تقرر أن الاستعاذه نوع من أنواع العبادة، فانها تكون الا بالله تعالى، أو باسم من أسمائه، أو بصفة من صفاته، جل وعلا، وهذا ما دلت عليه النصوص الشرعية، ومن النصوص التي بينت ذلك الآتي.

أولاً: الاستعاذه بالله تعالى، ومن ذلك قوله جل وعلا: وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِرَبِّهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذَبَّحُوا بَقَرَّةً طَفَّالًا أَتَتَعِدُنَا هُرُواً طَفَّالًا أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (سورة البقرة: ٢٧) وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (سورة المؤمنون: ٢٧)

وعن عقبة بن عامر بن عباس الجهني رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال له: ألا أخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون؟ قلت: بلى، فقال رسول الله ﷺ: قل أَعُوذ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، هاتين السورتين. (٢٩)

ثانياً: الاستعاذه باسم من أسماء الله تعالى.

ومن ذلك قوله تعالى: قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (سورة مريم: ١٨)

ثالثاً: الاستعاذه بصفة من صفاته جل جلاله.

ومن ذلك قوله تعالى: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (سورة الناس: ١٣) يقول ابن القيم: والمقصود الاستعاذه بمجموع هذه الصفات حتى كانها صفة واحدة، وقدم الربوبية لعمومها وشمولها لكل مربوب، وأخر الاهلية لخصوصها؛ لأنه سبحانه إنما هو الله من عبده ووحده، واتخذه دون غيره لها، فمن لم يعبده ويربّه فليس بالله، وإن كان في الحقيقة لا إله له سواه، ولكن ترك الده الحق واتخذ لها غيره، ووسط صفة الملك بين الربوبية والالهية؛ لأن الملك هو المتصرف بقوله وأمره،

فهو المطاع اذا أمر، وملكه لهم تابع لخلقه ايامهم، فملكه من كمال ربوبيته، وكونه الهمم الحق من كمال ملكه، فربوبيته تستلزم ملكه وتقتضيه، وملكة يستلزم الهيته وتقتضيها، فهو رب الحق، الملك الحق، الا له الحق، خلقهم بربوبيته، وقهرهم بملكه، استعبدهم بالهيته، فتأمل هذه الحاله وهذه العظمه التي تضمنتها هذه الألفاظ الثلاثة على أبدع نظام وأحسن سياق:

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١١) مَلِكِ النَّاسِ (١٢) إِلَهِ النَّاسِ (سورة الناس: ١٣). وقد اشتملت هذه الاضافات الثلاث على جميع قواعد الایمان، وتضمنت معانى أسمائه الحسنى). (٢٠).

ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: فقدت رسول الله

عليه السلام ليلةً من الفراش فالتمسنته فوقعت يدي على بطن قدميه

وهو في المسجد وهم منصوبتان وهو يقول 'اللهم أَعُوذُ بِرِضاكَ مِنْ سَخْطِكَ، وَبِمَا فَاتَكَ مِنْ عَوْبِدَكَ، وَأَعُوذُ بِكَ لَا أَحْصِي شَاءَ عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْبَتَ عَلَى نَفْسِكَ'. (٢١)

ومن ذلك الاستعاذه بصفة العزة، فعن ابن عباس رضي الله عنهم، أن رسول الله عليه السلام كان يقول:

'اللهم لك أسلمت، وبك أمنت، وعليك توكلت، واليک أنت، وبك خاصمت، اللهم اني أَعُوذُ بعزمك، لا الله الا أنت الحي الذي لا يموت، والجنة والانسان يموتون' (٢٢).

ومن ذلك ما كان يقوله صلى الله عليه وسلم في دعائه كما في الحديث الذي ترويه أم المؤمنين عائشة الصادقة بنت الصديق، رضي الله عنها وعن أبيها، وفيه: 'اللهم أَعُوذُ بِرِضاكَ مِنْ سَخْطِكَ، وَبِمَعَافِتِكَ مِنْ عَوْبِدَكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ.....'. (٢٣).

يقول ابن القيم: (فاستعاذه بصفة الرضا من صفة الغضب، وبفعل العافية من فعل العقوبة، واستعاذه به منه باعتبارين. وكان في استعاذه منه جمعاً لما فصله في الجملتين قبله)،

فإن الاستعاذه به منه ترجع إلى معنى الكلام قبلها، مع تضمنها فائدة شريفة، وهي كمال التوحيد، وأن الذي يستعيد به العائد ويهرب منه إنما هو فعل الله ومشيئته وقدره، فهو وحده المنفرد بالحكم، فإذا أراد بعيده سوءاً لم يعده منه إلا هو، فهو الذي يريد به ما يسوؤه، وهو الذي يريد دفعه عنه، فصار سبحانه مستعاذه به منه باعتبار الإرادتين: وَإِنْ يَمْسِكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفٌ لَّهٗ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسِكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (الأنعام: ١). وهو الذي يمس بالضر، وهو الذي يكشفه، لا الله إلا هو، فالمهرب منه إليه، والفرار منه إليه، واللنجا منه إليه، كما أن الاستعاذه منه، فإنه لارب وغيره ولا مدبر للعبد سواه، فهو الذي يحركه ويقلبه ويصرفه كيف يشاء. (٢٤)

ومن ذلك الاستعاذه بوجهه جل وعلا، قال عمرو سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: لما نزل على رسول الله ﷺ: قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَعْصِيَكُمْ عَذَابًا مِّنْ فُوْقَكُمْ (الأنعام: ٢٥). قال: أَعُوذُ بوجهك، أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ (الأنعام: ٢٥). قال: أَعُوذُ بوجهك، فلما نزلت: أَوْ يَلْبِسُكُمْ شَيْعًا وَيَدْنِيَقْ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ طَانْتُرْ كَيْفَ نُصْرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ (الأنعام: ٢٥). قال: هاتان أهون، أو أيسر، (٢٥)

ومن ذلك الاستعاذه بكلمات الله تعالى التامات، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سمعت خولة بنت حكيم السلمية رضي الله عنها، تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: 'من نزل منزلًا ثم قال: أَعُوذُ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك'. (٢٦) ولهذا فان علماء أهل السنة والجماعة احتجوا بهذا على أن كلام الله تعالى غير مخلوق (٢٧)، يقول الخطابي: (وكان أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلَ يَسْتَدِلُ بِقَوْلِهِ 'بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَةِ'، عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ غَيْرَ مَخْلُوقٍ، وَيَقُولُ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَسْتَعِدُ بِمَخْلُوقٍ، وَمَا مِنْ كَلَامٍ مَخْلُوقٌ إِلَّا وَفِيهِ نَقْصٌ، وَالْمَوْصُوفُ مِنْهُ بِالْتَّامَةِ هُوَ غَيْرُ الْمَخْلُوقِ، وَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ سَبَّحَانَهُ). (٢٨)

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية (٢٩). بعد أن بين أن اليمين لا تتعقد بالحلف بالمخلوقات: (وكذلك الاستعاذه بالمخلوقات، بل انما يستعاذه بالخالق تعالى وأسمائه وصفاته، ولهذا احتج السلف. كأحمد وغيره. على أن كلام الله غير مخلوق فيما احتجوا به بقول النبي ﷺ: 'أَعُوذُ بكلمات الله التامات' قالوا فقد استعاذه بها، ولا يستعاذه بمخلوق. وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: لا يأبأ بالرقى مالم تكن شر كا'. فنهى عن الرقى التي فيها شرك، والتي فيها استعاذه بالجن كما قال تعالى: وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسَنِ يَعْوِذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَرَأَوْهُمْ رَهْقًا (سورة الجن: ٢). ولهذا نهى العلماء عن التعازيم، والأقسام التي يستعملها بعض الناس في حق المتصروع وغيره، التي تتضمن الشرك، بل نهوا عن كل مالا يعرف معناه من ذلك خشية أن يكون فيه شرك، بخلاف ما كان من الرقى المشروعة، فإنه جائز، فإذا لا يجوز أن يقسم لا قسما مطلقا ولا قسما على غيره إلا بالله عزوجل). (٨٠)

ومما يضاف لهذا أن بعض العلماء بوب في بعض كتبه بما يدل على أن الاستعاذه عبادة، وأنها لا تكون الا بأسماء الله تعالى وصفاته. (٨١).

والمحض أن الله تعالى هو الذي يستعاذه، وتكون الاستعاذه أيضا بأسمائه وصفاته، كما جاءت بذلك النصوص الشرعية. ولا يستعاذه بأحد من خلقه؛ لأن الاستعاذه عبادة والعبادة لا تكون الا الله تعالى. ولهذا فان من لجأ أو استنصر بغيره تعالى، كما يفعله أهل الضلال عند القبور ويطيرون أن أصحابها ينفعون أو يضرون، فإنه قد أشرك به جل شأنه. (٨٢).

وكذلك من تعلق بأمر يعتقد فيه النفع والضر من دون الله تعالى، فيجب عليه طرحه حتى لا يحيط عمله؛ ومن ذلك ما يفعله بعض الناس من تعلق التمائم التي يتخذونها بمشابهة التعميدات، ويزعمون أنها تدفع العين والحسد عنهم. فعن عقبة بن عامر الجهني، رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: 'من علق تميمة فقد أشرك'. (٨٣).

فالتمائم شرك أن كانت من غير القرآن العظيم، يقول المعموصي: (لا يخفى أن التمائم وتعلقها قد ورد فيه المنع والنهي عن النبي ﷺ، كما في الأحاديث الصحيحة، وبعضاً منهم عدها شركاً، وبخصوصاً إذا كان بغير القرآن، أو بالألفاظ العجمية وغيرها، فتدارك). (٨٥)

ومن الأحاديث الدالة على أن المسلم لا يلجم إلى أفعال أهل الشرك، التي يتخذونها ويزعمون أنها تقيهم العين والحسد، ويتخذونها معاذًا لهم ولأنعامهم، ما رواه أبو بشير الأنباري رضي الله عنه، أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسوله ﷺ: 'أن لا يُقْنَى في رقبة بعير قلادة من وتر' (٨٦) أو 'قلادة لا قطعت' (٨٧).

ويتحقق بذلك ما يفعله بعض الناس في هذه الآونة من تعليق بعض الأشياء في سياراتهم، وفي بيوتهم، وفي أيدي أولادهم، كالخيوط، أو بعض الطلاسم، يضعونها كتعميدات يتقوون بها المكروره، كما يزعمون.

وأما أن كانت التمائم من القرآن العظيم، فقد منع منها كثير من السلف وكرهوها، (٨٨) وإذا كان الأمر كذلك في تلك العصور الخيرة، فإنه في هذه الأزمنة هو المتعين، لضعف الإيمان، وزيادة التعلق بالأسباب، واسناد الأمور إليها، فوجب سد ذريعة الشرك، هذا مع الأسباب الأخرى التي ذكرها أهل العلم في منع تعلق التمائم ولو كانت من القرآن الكريم. وما يدل على ترك ذلك ومنعه، النصوص الواردة بالفاظها العامة التي تمنع من ذلك وتحذر منه، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من تعلق تميمة، فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة، فلا ودع الله له). (٨٩)

وعن عبد الله بن عكيم مرفوعاً: (من تعلق شيئاً، وكل إليه) (٩٠). وهذا يدل على أن الإنسان إذا لجم إلى غير الله تعالى، وكل إليه، يقول شيخ الإسلام (٩١): (ان اعتماده على المخلوق وتوكله عليه يوجب الضرر من جهة؛ فإنه من تلك الجهة، وهو أيضاً معلوم بالاعتبار والاستقراء، ما علق العبد رجاءه وتوكله بغيره لله الأخاب من تلك الجهة، ولا استنصر بغير الله الأخذل، وقد قال الله تعالى: وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَهْلَهُ لَيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٩٢) كَلَّا سَيَّكُفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضَدًا (سورة مریم: ٨١، ٨٢) ويقول الشيخ العثيمين: (أن من تعلق تميمة، فإن الله لا يتم له، فيكون موكلاً إلى هذه التميمة، ومن وكل إلى مخلوق، فقد خذل). (٩٣)

